الفصل الثالث :

موجز لنقاط الاختلاف
بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

- الإله
- الأنبياء
- قضية صلب المسيح
- تحريف نصوص الأسفار
- نبوة محمد

موجز لنقاط الاختلاف
بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

١ - الإلَه

يرفض المسلم كل قول ينسب لله تجسيدا أو تشبيها أو حلولا فى أشياء وما إلى ذلك من أوهام وضلالات ، كما يرفض كل حديث يصور الله وقد لحقت به عواطف الإنسان وانفعالاته وضعفه ، فكل ذلك باطل الأباطيل .

إن القاعدة الأصلية التى يقوم عليها فكر المسلم فى الإلّه الحق أنه واحد أحد صمد : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص: ٣ ، ٤] ، وأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى : ١١] ، وأنه ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] ، و ﴿ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٦] ، ﴿ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم : ٢٧] .

وفيما يلى بعض ما يرفضه الفكر الإسلامى مما نجده فى الأسفار خاصا بهذا الموضوع الخطير ، بل إنه أخطر موضوعات العقيدة على الإطلاق .

الراحة بعد خلق السموات والأرض :

تقول الأسفار : « فرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل . فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا - سفر التكوين ٢ : ٢ - ٣ » .

ولقد صحح الله هذا المفهوم فى القرآن فقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [سورة ق : ٣٨] .

وفى صيغة استفهام استنكارى نقرأ قول الحق :

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سورة ق :١٥] .

*

الندم على خلق الإنسان وغيره !:

« ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . فحـزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم – سفر التكوين ٦ : ٥ – ٧ » .

لكن القرآن يصحح المفاهيم حول كل عمليات الخلق فيقول :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الدخان : ٣٨ ، ٣٩] .

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [سورة القمر : ٤٩] .

﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [سورة السجدة : ٧] .

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [سورة الرعد : ٢] .

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٣] .

*

بلبلة ألسنة البشر ليتفرقوا فلا يتقدموا فى الحياة ! :

« وكانت الأرض كلها لسانا واحد .. وقال بعضهم لبعض هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء .. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب : هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم العمـل . والآن لا يمتنـع عليهـم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هنـاك لسـانهم حتى لا يسمع بعضهـم لسان بعض . فبددهم الرب من هـناك على وجه كل الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة . لذلك دعى اسمها بابل . لأن الرب هناك بلبل لسـان كل الأرض – سفر التكوين ١١ : ١ – ٩ » .

لكن القرآن يعلِّم الناس جميعا أن اختلاف ألسنتهم كاختلاف ألوانهم ، إنما هو آية دالة على قدرة الله وبديع صنعه :

﴿ وَمِنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَاوَات وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [سورة الروم : ٢٢] .

ويعلمنا القرآن أن الله يرضى عن تقدم الإنسان فى هذه الحياة ، إذ يقول :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ، إِنَّ فى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية : ١٣] .

*

مصارعة إنسان والعجز عن التغلب عليه ! :

إنها حقا تصدم كل مسلم حين يقرأ هذا العنوان الفرعى فى الأسفار : يعقوب يصارع الله (١) !

تقول هذه الأسطورة : « بقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه .. وقال اطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال (يعقوب) لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال ما اسمك ؟ فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .

فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيب بنفسى – سفر التكوين ٣٢ : ٢٤ – ٣٠ » .

ونجد فى القرآن ما يعزينا عن مثل تلك الأوهام ومثيلاتها كثير ، حين نقرأ قول الحق :

﴿ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحج : ٧٤] .

*

---

(١) تقول الترجمة الفرنسية المسكونية ! Jacob Lutte avec Dieu .

الحلول فى الإنسان :

تلك عقيدة مستقاة من أساطير الأقدمين هنوداً ومصريين وأغريق وغيرهم ، حيث تصوروا أن آلهتهم تحل فى الإنسان بل وفى الحيوان والطير ، ولهذا عبدوا تلك المخلوقات وسجلوا ضلالاتهم هذه على معابدهم وآثارهم .

وها هو كاتب إنجيل يوحنا ينفرد – دون غيره من كتبة الأناجيل – بتقرير أن الله قد حل فى المسيح ، إذ ينسب إليه هذا القول :

« الآب الحال فى هو يعمل الأعمال . صدقونى إنى فى الآب والآب فىَّ – إنجيل يوحنا ١٤ : ١٠ – ١١ » .

وفكرة الحلول هذه التى تسربت إلى الإنجيل الرابع قد جاءت من رسائل بولس الهللينستى التى كتبت قبله بأكثر من خمسين عاما . فقد كتب يقول عن المسيح : « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا – الرسالة إلى كولوسى ٢ : ٩ » .

إن القول بأن المسيح إلٰه أو ابن إلٰه وأنه الأقنوم الثانى من الثالوث [١] أو أن الله قد حل فيه ، كل ذلك قد تسرب إلى المسيحية من الديانات البشرية القديمة . لقد وصف القرآن الذين يعتنقون مثل هذه الأفكار بأنهم يحاكون ما كان عليه قدامى الكافرين ، وذلك فى قوله :

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ [سورة التوبة : ٣٠] .

يقول أدولف أرمان فى كتابه : « ديانة مصر القديمة » ، عند الحديث عن معتقدات المصريين القدماء : « اعتقد المصرى أن روح الإلٰه تسكن الحيوان المقدس فى معبده . وقد أعطى هذا الاعتقاد رجال الدين المتفقهين فيه فرصة طيبة لكى يضموا فى تعاليمهم هذه الحيوانات المقدسة ، فتمتعت العجول والتيوس والبقر والصقور والتماسيح والثعابين بقداسة لاشك فيها .. وانتهى الأمر بهم أنهم لم يكتفوا بجعل روح واحدة لكل إلٰه ، بل زادوا العدد . فمثلا رع كانت له سبعة أرواح .

---

(١) راجع الملحق رقم (١) فى نهاية الكتاب .

ولما كان الملك فى اعتقادهم ذا صفات إلهية ، لذلك وجب أن يكون له أرواح كثيرة .. ويكفينا أن نختتم هذه الكلمة بحقيقة أخرى وهى أن الإله يمكن أن يكون بمثابة روح لإله آخر . فمثلا آمون كان روح شو أو روح أوزوريس ، وعندما عانق أوزوريس إله منديس الممثل على شكل التيس تكون من هذا العناق روحا مزدوجة ص ١١٢ – ١١٣ » .

إن الإسلام حازم وواضح تماما فى كل ما يتعلق بألوهية المسيح فالقرآن يقول :

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾

[سورة الزخرف : ٥٩] .

﴿ وَقَالُوْا اتَّخَذ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمَنِ أنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾

[سورة مريم : ٨٨ – ٩٥] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أنصَارٍ * لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة المائدة : ٧٢ – ٧٤] .

إن المسيح ليتبرأ من كل من يحاول الخلط بينه وبين الله أو ينسب له ألوهية على أى صورة من الصور . فلا يزال قوله الحق فى الأناجيل واضحا وضوح الشمس فى رابعة النهار وغير محتاج إلى شرح المفسرين وتأويل المتفيقهين :

« وفيما هو خارج إلى الطريق ركض له واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ ٠

فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحًا ؟! ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله – أناجيل : مرقس ١٠ : ١٧ – ١٨ ، متى ١٩ : ١٦ – ١٧ ، لوقا ١٨ : ١٨ – ١٩ » ٠

لقد أجمعت الأناجيل الثلاثة – التى لا تعرف شيئا عن الزعم بحلول الله فى المسيح – على هذه الحقيقة الأساسية التى هى المفتاح لحل الخلافات العقائدية بين المسيحيين أنفسهم وبينهم وبين المسلمين ٠ لقد كان ما قرره المسيح هنا متفقا تماما مع ما يقرره القرآن فى آيات كثيرة من أبرزها :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة النحل : ٦٠] ٠

﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم : ٢٧] ٠

* *

٢ – الأنبياء

إن المسلم ليرفض كل ما ألحق بسير الأنبياء من نقائص ومخازى فهم عباد الله المصطفون الأخيار ، جعلهم الله هداة للبشرية وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر ٠ فالقرآن يقول فيهم :

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٥٨] ٠

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠] ٠

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٧٣] ٠

تلك هى عقيدة المسلم فى أنبياء الله ومن ثم فهو ينكر بل ويستنكر كل الخطايا والسقطات التى نقرؤها عنهم في الأسفار . ومن أمثلة ذلك ما يقال عن : **زنا لوط بابنتيه** (سفر التكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨) : وكان من ثمرته ابنا الزنا موآب وعمون . ومن ذرية أولهما جاء داود !

*

خيانة موسى وهارون لله : وكان ذلك الاتهام الخطير هو آخر وحى تلقاه موسى قبل موته . فقد كلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا . اصعد إلى جبل عباريم .. وانظر أرض كنعان ... ومت في الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات أخوك هارون في جبل هور وضم إلى قومه . **لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل** .. إذ لم تقدساني في وسط بنى إسرائيل – سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ – ٥١ » .

لكن القرآن يبرئ موسى وهارون من هذه الخيانة وأمثالها فيقول :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ، إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾

[سورة مريم : ٥١ – ٥٣] .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الصافات : ١١٤ – ١٢٢] .

*

زنا داود بامرأة عبده أوريا الحثي ثم تآمره عليه وقتله (سفر صموئيل الثانى ١١ : ١ – ٢٧] .

ويكفى أن نقرأ ما يقوله القرآن فى شأن داود حتى نقول كما علمنا القرآن فى مواجهة مثل تلك التهم الخطيرة أن نقول :

﴿ مَّا يَكُونُ لَنَا أن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور : ١٦] .

فالقرآن يقول فى داود : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ [سورة الإسراء : ٥٥] .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً ، يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ ، وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أن اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ ، وَاعْمَلُوا صَالِحًا ، إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ، وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ، وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ،اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ،وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ ﴾[سورة سبأ: ١٠-١٣] .

*

كفر سليمان فى أواخر أيامه :

تقول الأسفار : « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات وعمونيات وأدوميات .. من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم .. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب .. فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم .. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان – سفر الملوك الأول ١١ : ١ – ٩ » .

لكن القرآن يذكر سليمان بالخير ويبرئه تماما من تهمة الكفر هذه :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ، نِعْمَ الْعَبْدُ ، إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ٣٠] .

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] .

*

أنبياء بنى إسرائيل قبل المسيح كانوا لصوصا ! :

إن هذا ما ينسبه إنجيل يوحنا إلى المسيح حين يقول : « قال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم أنى أنا باب الخراف . **جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص** . ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو الباب إن دخل بى أحد فيخلص .. أنا هو الراعى الصالح – ١٠ : ٧ – ١١ » .

أما بعد .. إن هذا قليل من كثير مما يصدم المسلم حين يقرأ سير النبيين فى الأسفار .

* *

٣ – قضية صلب المسيح

يختلف الإسلام مع النصرانية فى قضية أساسية من قضايا الإيمان فى عقائد المسيحيين ، وهى القول بأن المسيح انتهت حياته بالصلب ، وأن ذلك كان ضرورة للتكفير عن خطايا البشر حسب نظرية بولس .

إن القرآن يقرر بوضوح عدم صلب المسيح ، وأن الله نجاه من محاولات اليهود قتله ، بأن رفعه إليه كما سبق أن رفع أنبياء وأبرار ، وإن الأمر كان فتنة اختلطت فيها حقيقة الأمر على كثير من الناس .

فالقرآن يقول :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٥٧ – ١٥٨] .

ويكفى أن نرجع إلى الأسفار فى هذه القضية لنعلم منها الآتى :

١ – حين شعر المسيح بالخطر يتهدده وهو فى الحديقة كانت صلاته حارة إلى الله كى ينجيه من الموت . فقد « بدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت . ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك فاجزعنى هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد بل ما تريد أنت . .

وظهر له ملاك من السماء يقويه . وإذ كان فى جهاد كان يصلى باشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض – إنجيل مرقس١٤ : ٣٣ – ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ – ٤٤ » .

٢ – حين جاءت قوة الظلم وتقدم يهوذا الخائن ليدلهم على سيده ، « قال له يسوع : يا صاحب ، لماذا جئت ؟! – إنجيل متى ٢٦ : ٥٠ » .

٣ – وفى المحاكمة « اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقون . وإن سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى – إنجيل لوقا ٢٢ : ٦٦ – ٦٨ » .

وهنا وقفة : لنفرض جدلا أنه كان المسيح ، فإن هذا يعنى أنه كان يرجو إطلاق سراحه . وهذا ينفى ما نقرأه فى رسائل بولس وما اقتبس منها فى الاناجيل مثل القول بأن المسيح : « بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الشرير » أو أنه « بذل نفسه فدية لأجل الجميع » .

ومعنى ذلك أنه لو كان المسيح قد قتل حقًّا ، لكان ذلك رغما عنه . وبهذا تتعاظم خطيئة البشرية التى قتلته ظلماً وقهراً . ومن يُكفِّر عن تلك الخطيئة العظمى بعد ذلك ؟! .

وإذا افترضنا أنه ليس المسيح فإن هذا ما يفيده المضمون ، خاصة إذا علمنا أن الفقرة التالية لهذا هى قول ذلك الذى يستجوبونه : « منذ الآن يكون ابن الإنسان (المسيح) جالسا عن يمين قوة الله – إنجيل لوقا ٢٢ : ٦٩ » .

وهذا يقطع بأن الشخص الذى قبضوا عليه وحاكموه وصلبوه إنما كان شخصا آخر غير المسيح ، وأنه رآه بعينى رأسه وقد صعد إلى السماء ، ولهذا قال : « منذ الآن » .

٤ – ولقد كانت آخر صرخة للمصلوب هى قوله : « الوى ، الوى ، لما شبقتنى ؟! .الذى تفسيره : إلٰهى ، إلٰهى ، لماذا تركتنى – إنجيل مرقس ١٥ : ٣٤ » .

لكن المسيح قرر فى الإنجيل أن الله معه ولن يتركه أبدا . وهذا ما يعتقده كل المؤمنين . فهو يقول : « الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه – إنجيل يوحنا ٨ : ٢٩ » .

فمن المؤكد أن الذى أطلق صرخة اليأس تلك على الصليب إنما كان شخصاً آخر غير المسيح الذى أكد أن الله معه فى كل حين .

٥ – لقد تنبأ المسيح بنجاته من القتل – كما تنبأت المزامير كثيراً وكثيراً – فلا يزال بين أيدينا ما قاله المسيح فى تحد لليهود حين حاولوا اصطياده فى إحدى المرات . « فقد أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه فقال لهم يسوع : أنا معكم زمانا يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى . **ستطلبوننى ولا تجدوننى ، حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا** – إنجيل يوحنا ٧ : ٣٢ – ٣٤ » .

لا نظن أحداً يشك فى وضوح هذا القول الذى يعنى أن اليهود حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجدوه لأن الله سيحفظه بالرفع . ومن الطبيعى أن يقال أن السماء مكان يعجز اليهود عن الوصول إليه تعقبا للمسيح .

٦ – هذا ولقد اختلفت الأناجيل الأربعة فى عناصر قصة الصلب ويكفى أن نذكر أن العشاء الأخير كان حسب الثلاثة الأولى : متى ومرقس ولوقا هو عشاء الفصح ، وأما الإنجيل الرابع فقد جعله قبل الفصح بأيام . وقد ترتب على

هذا أن كان يوم الصلب حسب الثلاثة يوم الجمعة ، بينما هو حسب إنجيل يوحنا يوم الخميس – اليوم الذى ذبحت فيه خراف الفصح (إنجيل يوحنا ١٨ : ٢٨ ، ١٩ : ١٤] .

ولما كانت المقبرة التى وضع فيها جسد المصلوب قد وجدتها مريم المجدلية خالية صباح الأحد ، فإن هذا يعنى أن جسد ذلك المصلوب لم يدفن فى الأرض « ثلاثة أيام وثلاث ليال » حسبما هو شائع فى الأناجيل : متى ١٢ : ٤٠ ، ١٧ : ٢٣ – مرقس ٩ : ٣١ – لوقا ٩ : ٢٢ . فالفترة بين يوم الجمعة يوم الصلب ، ويوم الأحد يوم القيامة لا تزيد عن : يوم واحد وليلتين .

أما بعد .. إن هذا قليل من كثير مما يبرهن على عدم صلب المسيح [١] .

* *

٤ - تحريف نصوص الأسفار

يعتقد المسلمون أن أسفار أهل الكتاب قد تعرض بعضها للفقد والنسيان ، كما تعرض البعض الآخر لتحريف وتبديل باعد بين النص الحديث والأصل القديم .

يقول القرآن فى شأن اليهود :

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ، وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ . [سورة المائدة : ١٣] .

ويقول فى شأن النصارى :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [سورة المائدة : ١٤] .

---

(١) راجع الملاحق أرقام : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ بنهاية الكتاب .

ويقول فى بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى :

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ **وَمَا هُوَ** مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ **الْكَذِبَ** وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٨] .

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * **فَوَيْلٌ** لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ **ثَمَنًا** قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٧٨ - ٧٩] .

*

والآن ماذا تقول الكنيسة وعلماء الكتاب المقدس فى هذا الموضوع الحيوى الخطير ؟ :

١ - أعلن مجمع الفاتيكان الأول (٦٩ - ١٨٧٠) أن الكتب **القانونية** التى يشتمل عليها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد : « كتبت **بإلهام من** الروح القدس ،مؤلفها الله ، وأعطيت هكذا للكنيسة » .

٢ - وبعد نحو ٩٠ عاما عقد مجمع الفاتيكان الثانى (٦٢ - ١٩٦٥) . وقد أدرجت فى الوثيقة المسكونية الرابعة فقرة عن التنزيل تختص **بالعهد** القديم ، تقول : « تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله **ومن هو** الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته **مع** الإنسان . **غير أن هذه الكتب تحتوى على نقائص وأباطيل** ، ومع ذلك **ففيها** شهادة عن تعليم إلهى » .

٣ - تقول الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس (T . O . B) **فيما** يتعلق بنصوص أسفار العهد القديم تحت عنوان :

إفساد النصوص : **Corruptions Textuelles**

« لا شك .. أن هنالك عددا من النصوص المشوهة التى **تفصل النص** المسورى الأول عن النص الأصلى . فمثلا ، تقفز عين الناسخ من **كلمة إلى** تشبهها . وترد بعد بضعة أسطر ، مهملة كل ما يفصل بينهما . **كما أن تكون**

هناك أحرف كتبت كتابة رديئة فلا يحسن الناسخ قراءتها فيخلط بينها وبين غيرها .

وقد يدخل الناسخ فى النص الذى ينقله ، لكن فى مكان خاطئ ، تعليقا هامشيا يحتوى على قراءة مختلفة أو على شرح ما .

والجدير بالذكر أن بعض النساخ الأتقياء أقدموا ، بإدخال تصحيحات لاهوتية ، على تحسين بعض التعابير التى كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدى خطر »[1] .

٤ – كذلك تقول الترجمة الفرنسية المسكونية فيما يتعلق بنصوص أسفار العهد الجديد :

« إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التى تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت ، مهما بذل فيها من الجهد ، بالموافقة التامة للمثال الذى أخذت عنه .

يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانا ، عن حسن نية ، أن يصوبوا ما جاء فى مثالهم وبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة ، أو قلة دقة فى التعبير اللاهوتى ، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ .

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذى وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ظهرت فى عدد كبير من القراءات .

هدف أصحاب النقد الباطنى أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذى قام به الناسخ والأسباب التى دعته إلى ذلك التدخل ، فيسهل بعد ذلك الارتقاء إلى القراءة القديمة التى تفرعت منها سائر الروايات المحرفة .

---

(١) نقلا عن : كتب الشريعة الخمسة – ص ٦٦ – دار المشرق – بيروت ، وذلك مع مراجعتها على النص الفرنسى .

ولا يرجى فى حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه » (١) .

إن هذا يكفى للحديث عن تحريف بعض نصوص الأسفار (٢) .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٣٧] .

* *

٥ - نبوة محمد

يختلف أهل الكتاب - يهوداً ومسيحيين - مع المسلمين حول نبوة محمد . فكما ينكر اليهود إلى اليوم نبوة المسيح الذى ولد منذ ما يقرب من ألفى عام ، تتكرر نفس المواقف حيث تنكر كلا الطائفتين نبوة محمد الذى قام يدعو إلى الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان .

ولننظر ماذا تقول الأسفار فى هذا الموضوع .

*

المعيار الذى تقرره التوراة لصدق النبوة :

شرطان لابد منهما للحكم على صدق النبوة :

الأول - أن يدعو النبى إلى عبادة الله الواحد الأحد .

والثانى - أن تتحقق تنبؤات ذلك النبى فيما يتعلق بأحداث المستقبل .

وفى كل ذلك ليس للآيات والأعاجيب أى اعتبار إذا كان هناك نبى يدعو إلى غير توحيد الله ، فهو فى تلك الحال نبى كذاب جزاؤه القتل على رؤوس الأشهاد .

فبالنسبة للشرط الأول ، قال الرب لموسى ولبنى إسرائيل :

« إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة . ولو

---

(١) نقلا عن : العهد الجديد : ص ٧ - ١٠ - منشورات دار المشرق - بيروت .

(٢) راجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس .

حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى ٠٠ فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم ، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم ٠ وإياه تعبدون وبه تلتصقون ٠

وذلك النبى أو الحاكم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم – سفر التثنية ١٣ : ١ – ٥ » ٠

وبالنسبة للشرط الثانى : قال الرب لموسى ولبنى إسرائيل :

« وإن قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ٠ فما تكلم به النبى باسم الرب ٠ ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه – سفر التثنية ١٨ : ٢١ – ٢٢ » ٠

ذلك هو المعيار العام للحكم على صدق النبوة ٠ وبتطبيق ذلك على نبوة محمد بن عبد الله نجد تحقق هذين الشرطين بكل بساطة ووضوح ٠

فالإسلام الذى دعا إليه محمد بن عبد الله قام أساسا على التوحيد الخالص وأنه لا إله إلا الله ٠ فتلك هى خاصيته الأساسية التى يعرف بها بين الجميع ٠

وبالنسبة لصدق تنبؤات المستقبل ، فذلك شىء حفل به القرآن ٠ ويكفينا فى هذا المجال أن نذكر نبوءة واحدة تتعلق بصراع القوى الكبرى فى عصر محمد ، إلا وهو التنبؤ بانتصار الروم على الفرس رغم ما لحق بهم من هزائم متوالية ، ولقد جاء ذلك فى سورة تعرف باسم سورة الروم ٠

يقول المؤرخ الانجليزى ستيفن رنسيمان : « فى ربيع سنة ٦١٤ دخل فلسطين القائد الفارسى شهر باراز فصار ينهب الأراضى ويحرق الكنائس أينما سار ٠٠ وفى ١٥ أبريل سنة ٦١٤ اقتحم بيت المقدس واستعد البطريرك زكريا لتسليم المدينة ليتجنب سفك الدماء غير أن السكان المسيحيين رفضوا الاستكانة إلى التسليم ٠ وفى ٥ مايو سنة ٦١٤ وبفضل مساعدة اليهود المقيمين داخل المدينة شق الفرس طريقهم إلى داخل المدينة فتلى ذلك من المناظر المريعة ما يجل عن الوصف ٠٠ وزحف الفرس على مصر بعد ثلاث سنوات (٦١٧) وأضحوا سادتها خلال سنة واحدة ، وفى تلك الأثناء تقدمت جيوشهم شمالا حتى بلغت البوسفور ٠ على أن سقوط بيت المقدس فى أيدى الفرس كان صدمة

عنيفة للعالم المسيحى ، وما قام به اليهود من دور لم يجر نسيانه أو اغتفاره ، فاتخذت الحرب مع الفرس صفة الحرب المقدسة .

فلما صار هرقل آخر الأمر سنة ٦٢٢ قادرا على أن يتخذ خطة الهجوم على العدو نذر نفسه وجيشه لله . واستطاع هرقل آخر الأمر برغم ما جرى من تقلبات عديدة فى الأحداث وما اشتد من القلق واليأس فى أوقات عديدة ، أن ينزل الهزيمة الساحقة بالفرس » (١) .

لقد حزن المسلمون لهزائم الروم لما شعروا به نحوهم من روابط القربى فى الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبيين ، على حين فرح مشركو مكة وما حولها بانتصار الفرس .

يقول المستشرق كارل بروكلمان : « هلل المكيون لهذه الانتصارات الفارسية ولكن محمدا أعلن اتباعه أن الهزيمة لابد أن تحل بالفرس فى وقت قريب » (٢) .

لقد استمرت الأمور تسير بعد نزول آية النبوءة هذه فى غير صالح الروم ، إذ استولى الفرس على مصر كما هددوا القسطنطينية قلب الأمبراطورية . ولكن ما أن جاء عام ٦٢٢ حتى بدأ الموقف يتحول لصالح الروم . واتخذ هرقل خطة مهاجمة الفرس فقام بثلاث حملات باهرة فى الاقليم الواقع من خلف جبال القوقاز .

« ثم لم يلبث أن انتزع من كسرى ثمرات النصر الذى تم له وتعقبه حتى عاصمة ملكه .

ومن ذلك الحين والامبراطورية الساسانية (الفارسية) تسير قدمًا نحو مصيرها النهائى المحتوم إلى الدمار » (٣) .

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية ج ١ : ص ٢٤ – ٢٧ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية : ص ٩٠ .

(٣) موسوعة تاريخ العالم – ج ٢ : ص ٤٧٨ .

لقد انتهت هزائم الروم أمام الفرس وبدأت انتصارها ولما يمضى على نزول آية النبوءة هذه بضع سنين ، وهو العدد أقل من عشرة .

*

التنبؤ بحفظ النبى من محاولات قتله :

نزلت آية هذه النبوءة تقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] .

لقد قالت عائشة رضى الله عنها : كان النبى ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ .والله يعصمك من الناس ﴾ ، فأخرج النبى ﷺ رأسه من القبة وقال : أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمنا الله عز وجل .

لقد اكتملت رسالة النبى فى حياته ، ومات ميتة طبيعية على فراشه بين أهله وصحابته ، فتحققت بذلك نبوءة القرآن تماما .

ذلك بعض ما يقال حين نأخذ ما تقوله التوراة معيارا للحكم على صدق النبوة . والآن ننتقل للحديث عن ملامح وصفات النبى المرتقب الذى بشرت به الأسفار .

● **من توراة موسى :**

هو نبى مثل موسى يجعل الله كلامه فى فمه ، فلا ينطق عن الهوى (سفر التثنية ١٨ : ١٨) .

وبمقارنة الخطوط العامة لحياة موسى ومحمد نجد الآتى :

كلاهما : ولد ومات ميتة طبيعية – وتزوج وأنجب ذرية – وعدَّد زوجاته وتعرض لنقد بسبب ذلك – وجاء بشريعة طبقت فى عهده – وقاد أمته فى حروب ضد الكفار .

● **من المزامير :**

« تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار .. اركب من أجل الحق والدعة

والبر فتريك يمينك مخاوف .. شعوب تحتك يسقطون .. بنات ملوك بين حظياتك – المزمور ٤٥ » .

ولقد تحقق هذا فى محمد رسول الله ﷺ وحروبه ضد الكفار والمشركين .

● **من سفر أشعياء :**

– يشتهر بأنه عبد الله ورسوله : « هو ذا عبدى الذى أعضده . مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » . – يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده : « لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » .

– يعصمه الله من الناس : « امسك بيدك واحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للآمم » .

– يأتى من الصحـــراء (البـــرية) وينتـــسب إلى إسماعيل بن إبراهيم : « لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار » . وقيدار هذا هو الابن الثانى لإسماعيل (سفر التكوين ٢٥ : ١٣) .

– الشعب الذى ظهر فيه وانتصر عليه كان من عباد الأوثان : « يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا » .

– رجل حرب مقدام ينتصر على أعدائه : « كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » .

– فى مناسك دينه هتاف وتسبيح من رؤوس الجبال : « من رؤوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر » . وهذا يحدث فى موسم الحج حيث أهم مناسكه الوقوف بجبل عرفات .

● **المعزِّى روح الحق :**

تحدث المسيح عن رسول آت بعده سماه المعزى روح الحق وذلك فى إصحاحات ثلاث أرقامها ١٤ ، ١٥ ، ١٦ . كان مما قاله :

« أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق . لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى .. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . وأما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى .

إن لى أمورا كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية – إنجيل يوحنا ١٦ : ٧ – ١٣ » .

ومن هنا يتضح عدة أمور منها :

– إن المسيح وروح الحق لا يجتمعان فى وقت واحد ، وأن الثانى لا يأتى إلا بعد رحيل الأول .

– وأن روح الحق كائن مستقل لا يتكلم من نفسه ، إنما ينقل إلى الناس الحق الذى يسمعه .

– وأنه سوف يتنبأ بأمور آتية فيما بعد .

ولما كان يوحنا كاتب هذا الكلام فى إنجيله قد بين فى رسالته الأولى أن روح الحق إنسان مؤمن (٤ : ٦) ، ولما كانت حاشية الترجمة الفرنسية المسكونية قد ذكرت أن روح الحق الذى تكلم عنه يوحنا فى إنجيله (١٤ : ١٧) هو ذاته الذى تكلم عنه فى رسالته الأولى ، ولما كان الروح القدس قد لازم المسيح منذ عمَّده يوحنا « واستقر عليه – إنجيل يوحنا ١ : ٣٢ » – من كل ما سبق يتبين أن روح الحق غير الروح القدس .

وإذا كان كاتب هذا الإنجيل قد ذكر روح الحق ثلاث مرات (فى ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣) ، بينما ذكر الروح القدس مرة واحدة (فى ١٤ : ٢٦) فإن هذا يعتبر خطأ تسرب إلى النسخ المتداولة من هذا الإنجيل .

ويؤكد ذلك أن هناك مخطوطة سريانية شهيرة اكتشفها اجنيس لويس عام ١٨١٢ فى دير سيناء ، كتبت فى القرن الرابع أو الخامس ، وهى تذكر الروح فقط وليس الروح القدس .

مما سبق جميعه يتبين أن روح الحق الذى تحدث عنه المسيح إنما هو

إنسان رسول يأتى بعده ، ويبكت العالم على أنه لم يؤمن بالمسيح الإيمان الحق ، أى أنه عبد الله ورسوله . وأن هذا الرسول المرتقب ليس إلا النبى الذى كان ينتظره بنو إسرائيل كأحد المنتظرين الثلاثة على أيام يوحنا المعمدان(يوحنا ١ : ٢١) .

وأخيرا فإن هذا النبى المرتقب سوف يخبر ببعض أحداث المستقبل . ولقد عرضنا سلفا بعض تنبؤات محمد رسول الله ، المسجلة فى القرآن ، وقد تحققت فى عالم الواقع ، ولا شك أن الواقع هو خير برهان .

وإذا كان المسيح قد قال إنه سيبقى فى الناس إلى الأبد ، فإن هذا يتمشى مع لغة الأسفار التى عندما تتحدث أحيانا عن رسل الله إلى الناس ، فإنها تعنى كتب الله التى جاء بها هؤلاء الرسل إلى الناس . وهذا ما تبينه قصة « الغنى ولعازر » التى ذكرها إنجيل لوقا (١٦ : ١٩ – ٣١) ، إذ عندما قال الغنى لأبينا إبراهيم : « أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى لأن لى خمسة أخوة حتى يشهد لهم لكيلا يأتواهم أيضا إلى موضع العذاب هذا . قال له إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء » .

فالمقصود بهذه العبارة : عندهم كتب موسى وكتب الأنبياء . وعلى ذلك يكون المقصود من قول المسيح أن روح الحق سيكون « معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد ١٤ – ١٦ » ، هو أن الكتاب الذى سيأتى به ذلك الرسول الذى يعقب المسيح سيبقى محفوظا إلى الأبد . وهذا لا يتأتى إلا إذا تكفل الله – سبحانه – بحفظه . فلقد أثبت الواقع إن كثيرا ممن استحفظوا على كتب الله السابقة كانوا دون المستوى المطلوب .

ولهـــذا قال الله فى القــرآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ، تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[سورة فصلت:٤١ ، ٤٢] .

* * *